التيفوس بالمغرب خلال الحماية 1912 - 1945م

بوجمعة رويان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التيفوس بالمغرب* خلال الحماية 1912-1945

بوجمعة رويان

كلية الآداب، القنيطرة

تميزت الفترة الممتدة ما بين 1912 و1945 في المغرب بهيمنة ثلاثة أوبئة هي التيفوس والطاعون والجدرى، ثم انضاف إليها وافد جديد هو وباء الحمى الراجعة، الذي عاث بخبث في نهاية الحرب العالمية الثانية.

وكان التيفوس لارتباطه الوثيق بالمجاعات والبؤس، أخطر تلك الأوبئة، إذ كان يعيث في المغاربة بشكل فظيع إبان دفعاته التي تكررت على البلاد في دورات يحددها توالي سنوات الشح والجفاف، فيحصد العديد من الأرواح، ويعرض الكثير من مشاريع الأوربيين للتعثر أو التوقف، مما دفع سلطات الحماية إلى محاولة تطويقه واستئصاله.

سأتناول هذا الموضوع في ثلاث نقط تهتم أولاهما بتعريف التيفوس وخصائصه وسبل انتشاره، وتسعى الثانية إلى رصد عثيانه بالمغرب ما بين 1912 و1945، وتتوخى النقطة الثالثة التطرق إلى محاولات الحماية لتطويق التيفوس والتوقي منه.

أولا : التيفوس :

كلمة تيفوس Typhus مشتقة من الكلمة اليونانية Typhon أي Torpeur وتفيد معنى الخمول والفتور. وظل مصطلح تيفوس، لفترة طويلة يجمع عددا من الأمراض المعدية، حتى تمكن بواسييي دي سوفاج BOISSIER DE SAUVAGE من فرز التيفوس الطفحي كداء مستقل إكلينيكيا في القرن الثامن عشر[1].

---

* نقصد بالمغرب هنا القسم الذي كان تحت حماية فرنسا

1 RUFFIE (J) et SOURNIA (J.C),: Les épidémies dans l'histoire de l'homme, Essai d'anthropologie médicale, Flammarion, Paris, 1993, p. 146.

وقد عرفت جريدة "السعادة" بالتيفوس : أنه من الأمراض الخبيثة المهلكة للبشرية[2]، وهو داء عضال إذا حل ببلاد يهلك جل سكانها، فيتبع الجنود في حركاتهم وينتشر في النواحي التي خيمت فيها المجاعة[3].

وتتمثل خطورة التيفوس في كونه ينتاب الأصحاء من الناس على حين غرة ودون أن يظهر عليهم من الأعراض ما ينذر بذلك، إذ يصاب المرء بانحراف صحي ترتفع على إثره درجة حرارته ويلم به صداع في الرأس تضطر معه دقات القلب، ثم يجف لسان المصاب ويتشقق، وتظهر طفوح وردية على جلده، وقد تدفع هذه الأعراض بالعليل الى حالة من الهذيان، ثم يستكين إلى وهن يجعل عينيه تدوران كالذي يغشى عليه من الموت، كما قد يتفاحش الداء بصاحبه فيرديه ميتا.

يتسبب في داء التيفوس مكروب الركتسيا، الذي اكتشفه الأمريكي ركتس RICKETTS، الذي توفي وهو يدرس التيفوس في إحدى مدن المكسيك، ثم أضيف الى اسمه PROWACEKI وهو اسم عالم نمساوي مات بالطريقة عينها[4]، فسمي المكروب الناقل للتيفوس ريكتسيا بروفاتسيك.

تنتقل الجراثيم المسببة للتيفوس عن طريق القمل، وهو أمر اهتدى إليه العالم الفرنسي شارل نيكول CHARLES NICOLE مدير معهد باستور بتونس سنة 1909، بعد أن ساد الاعتقاد ردحا من الزمن أن الداء مرتبط بما يطرأ على الجو من تقلبات. ذلك أن القملة إذا لسعت شخصا تركت بعض القاذورات حول المكان الملسوع، فإذا حك الإنسان ذلك المكان فتح بأظافره خدوشا في الجلد تسهل على المكروبات الموجودة بتلك القاذورات التسرب الى جسم الانسان، فيصبح مصابا بالتيفوس.

ولما كانت القملة هي العامل الرئيسي في كل ذلك، فإن اهتمام الباحثين قلما انصب على التاريخ البيولوجي لدراسة هذا المخلوق الضعيف الذي تسبب في خراب كثير من المدن وكان عاملا من العوامل الحاسمة في انهزام الجيوش أو سقوط الدول، ومن الأمثلة القليلة عن الاهتمام بتاريخ الحشرات ودورها في التاريخ : كتاب هانس زينسر HANS ZINSSER وعنوانه : Rats, Lice And History وقد صدر بلندن سنة

---

[2] السعادة ليوم 20 يونيو 1936.

[3] إدارة الصحة العمومية : "محاربة التيفوس"، مطبعة فورتان ومولو، ب.ت.، ص. 3.

[4] هانس زينسر، "التيفوس والتاريخ"، ترجمة أحمد بدران، مراجعة محمد بدران، الشركة العربية للتوزيع والطباعة، ب.ت.، ص. 200.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

1934، وترجم الى العربية تحت عنوان "التيفوس والتاريخ"، ومما جاء بين ثنايا هذا الكتاب عن التيفوس والقملة : "لقد قرر التيفوس... مصير حملات أكثر من التي قرر مصيرها قيصر وهانبال ونابليون والقواد في جميع مراحل التاريخ. ونرى الأوبئة تستحمل وزر الهزيمة بينما ينال القواد فخر النصر"[5]. وفي مكان آخر : "إن السيوف والحراب والسهام والمدافع الرشاشة والمفرقعات نفسها لم يكن لها من الأثر من مصائر الشعوب ما لقملة التيفوس"[6]. وزاد متحدثا عن القملة بقوله : "فهذا المخلوق الذي حمل من الوباء ما اجتاح المدن وشرد السكان ورد الجيوش الغازية على أعقابها بعد أن استولى عليها الذعر والهلع حتى أضحت جماعات مختلة النظام"[7].

وينتقل التيفوس من شخص إلى آخر عن طريق العدوى إذ يصاب أقرباء المريض والمتعاملون معه بشكل دائم. ويجد مرتعا في المناطق ذات الحشود البشرية الكثيفة كالأسواق والأضرحة والمواسم وينشط بين موجات الهجرة وتحركات الجيوش، وكان شق الطرق وربط المناطق ببعضها بالاضافة إلى وجود فنادق ومقاهي من أبرز عوامل انتشاره كما أن ارتداء أسمال بالية دون تبديلها لعدة أسابيع يوفر للقمل إمكانية التكاثر ويساعد على انتشار التيفوس.

ثانيا : التيفوس بالمغرب :

I. نظرة عن التيفوس قبل الحماية :

جاء في دراسة أنجزها الطبيب رونو RENAUD عن التيفوس بالمغرب : "ان كلمة تيفوس أو عبارة (مرض التيفوس) أو حمى التيفوس مما نصادفه في الصحافة الإسلامية للدلالة على التيفوس الطفحي، هي عبارات حديثة مأخوذة من المصطلحات الطبية الأوربية، لذلك لم يكن يعرفها من المغاربة إلا المثقفون أو من سمعها من الفرنسيين ممن يحتك بهم كالمرضين ومساعدي الأطباء، ومن هنا كان يصعب العثور على

[5] المصدر السابق نفسه، ص. 136.
[6] نفسه، ص. 7.
[7] نفسه، ص. 149-150.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلمات كهذه في الكتب المطبوعة أو المخطوطة التي من شأنها أن تزودنا بمعطيات حول عثيان أوبئة التيفوس في دولة الشرفاء"[8].

وأول ذكر لحمى التيفوس هو الذي ورد عند محمد بن علي الدكالي في أرجوزة ألفها سنة 1911 تحت عنوان : "إتحاف اشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا"، إذ يقول فيها متحدثا عن أحد الأطباء :

ومنهم طبيبنا المعاصـــــــر	محمد الشاكر نعم الماهـــــــر
اجل من حل بهذا الثغـــــر	ذ وهو دمشقي بغـير نكـــــــر
عالج داء السل واليرقـــــان	في شأن ذي الحمى غدت مفهومة
كيف ابتداء الطور فيها وانتهى	ومـا به تنذر او علاجـــــــها
ثم قضى اللـه له بالمـــــوت	بهـذه الحمى بعـيد النعمـــــة [9]

ولا يعني هذا أن المغرب كان بمنجى من هذا الداء قبل ذلك، فقد كتب رينو RAYNAUD عن عثيانه في طنجة سنة 1855 ووجود حالات عديدة[10] وتحدث عن فتكه بخبث في مدينة موكادور سنة 1868، ثم في موكادور ومازيغن سنة 1878[11]، وانتهى رينو الى القول : "إن التيفوس كان يعيث بشكل متوطن في المغرب"[12].

وإذا كان التيفوس قد بقي مجهولا لدى إخباريينا ومؤرخينا قبل أن يرد ذكره عند الدكالي رغم وجوده بين ظهراني المغاربة بشكل متوطن،

---

8 - RENAUD (HPJ), Le typhus exanthématique : au cours de l'histoire du Maroc, in Maroc médical, novembre 1937, p. 431

9 الدكالي (محمد بن علي) إتحاف أشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا، مخطوط الخزانة العامة، د 11، ص. 88-89.

10 - RAYNAUD (L), étude au l'hygiène et la médecine, au Maroc Alger 1902, p. 92.

11 - Ibid.

12 - Ibid

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لارتباطه بسنوات الشح والجفاف، فمرد ذلك في ما يبدو إلى عدم معرفة هؤلاء الإخباريين بتصنيف الأدواء، وإلى ما كان يشوب كلمة وباء من غموض تارة ومن تعميم تارة أخرى، ثم إلى ما كان حاصلا من خلط بين مصطلحي وباء وطاعون، إذ الوباء عند كثير من إخباريينا مرادف للطاعون والعكس صحيح[13].

تشح المعلومات حول التيفوس وعثيانه في المغرب في السنوات القليلة التي سبقت عقد الحماية، غير أن ارتباط هذا الداء بسنوات المحن والشدة يجعلنا نتلمس بعض آثاره لدى من ورد عندهم ذكر لتلك السنوات العجاف، ففي سنة 1898-1899 عم الجفاف في المغرب الشرقي وتسبب في بؤس شديد، وعاثت المجاعة في سوس بسبب الجفاف[14]، وهذا يتطابق مع ماورد عند وايزجيربر WEISGERBER عندما أشار إلى كثرة البؤساء بسوس مما ترتب عليه اشعاع التيفوس الذي اتخذ بشكل سريع أبعادا رهيبة[15].

وعاث التيفوس في المغرب بعد جفاف 1905-1906، إذ يخبر دوسوكنزاك DE SEGONZAC بهبوب رياح حارة، وتحدث بريف BRIVES عن رداءة المحاصيل في منطقة الجديدة مشيرا إلى أن الامبراطورية المغربية كانت تشكو كلها من الجوع في يونيو 1906[16]. وكانت هذه "السغبة تذهب يوميا في مراكش ب 40 شخصا من الملاح، و150 من الأحياء العربية"[17].

وقد ترتب عن هذه الوضعية ظهور التيفوس الذي بلغ يومئذ مبلغا عظيما من الانتشار إذ يشير كروشي CRUCHET إلى أنه ألوى في ظرف خمسة أشهر ب 5000 شخص[18]، ولعل هذا التيفوس هو الذي ذهب بأحد كبار

---

13 تنبه الى هذا الخلط رونو RENAUD في درس ألقاه في دجنبر 1933 بمعهد الدراسات العليا بالرباط، وصدر ب BI.HM. (juillet, sept. 1934) تحت عنوان :
Les maladies pestilentielles dans l'orthodoxie islamique.

14 - DE SEGOUZAC voyage au Maroc 1899-1901, Paris, 1903, p. 266.

15 - WEISGERBER (F) Au seuil du Maroc moderne, Rabat,1947, p. 96.

16 - BOIS (CEH) Années de disette, année d'abondance : sécheresse et pluies au Maroc in revue des calamites, Genève, 1949, p.11.

17 - PENZ : La population juive au Maroc de 1886 a 1913, archives réunies par mme LEVAILIANT (rapport ronéotype, sans pagination).

18 - GUCHET (R), La conquête pacifique Au Maroc, Edit Berger-Levrault, 1930, p.59.

الأطباء، واسمه محمد شاكر، وهو الذي ذكره الدكالي في أرجوزته التي أتينا على ذكرها.

ولم تنج مازيغن في السنة ذاتها (1906) من فتك التيفوس إذ أشار الطبيب دونارت DONNART من البحرية الفرنسية أثناء مروره بالمنطقة في هذا العام، إلى اشتداد وطأة الداء، بسبب مسغبة عظيمة، كان الناس على إثرها يخرون صرعى من الجوع في أزقة المدينة وساحاتها[19].

II. التيفوس بالمغرب ا بين 1912 و1945 :

يمكن تقسيم تاريخ التيفوس بالمغرب مابين 1912 و1945 إلى مرحلتين : الأولى من سنة 1912 إلى 1928، والثانية من 1937 إلى 1945.

1. المرحلة الأولى 1912-1928 :

شكل التيفوس بالمغرب خلال الثلث الأول من القرن العشرين أكثر الكوارث إثارة للهلع والفزع والخوف، وقد شهدت المرحلة الأولى إشعاع التيفوس لثلاث كرات امتدت أولاهما على سنوات 1912-1913 و1914، وشعت الثانية في سنوات 1920-1921 مع امتدادها على سنوات 1924 1925 بمراكش على وجه التخصيص، وانتشرت الثالثة على سنتي 1927-1928.

أ. تيفوس 1913-1914

ظهر التيفوس في هاتين السنتين نتيجة أزمة فلاحية تسبب في حدوثها الجفاف الذي امتد على البلاد، إذ هبط معدل التساقطات في الدار البيضاء على سبيل المثال إلى 196 ملم أي حوالي 48 % من المعدل السنوي[20]. وكانت الأمور أدهى في سوس، إذ وصف صاحب المعسول

---

19 -HERZEN (R), Notes et réflexions sur la nosologie du Maroc. Tirage à part, - Revue suisse de médecine n° 4, 5 et 6, 1911, p. 11.

20 BIDAULT (G) Pluviométrie de l'année agricole 1944-1945, in BESM, n° 26, 1945, p. 59.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحوالها في سنة 1913 بقوله : "ومن الحوادث ما وقع في عام 1331 هـ من الغلاء المفرط، وانحبس المطر ولم تقطر منه قطرة واحدة إلا في الأرض المسماة المعادر القبلية"[21].

وبسبب المجاعة الناتجة عن الجفاف، فقد تدفقت موجات بشرية نحو المدن، وعاث التيفوس خلال شتاء 1913-1914 في فاس ومراكش والجديدة وبرشيد وتمارة وسلا ودبدو. وكانت حدته أقوى بالرباط والدارالبيضاء، إذ تم خلال الأشهر الأولى من سنة 1914 تسجيل 600 حالة بين المغاربة في الدار البيضاء و200 حالة بين الأوربيين و700 حالة بين المغاربة في الرباط و150 لدى الأوربيين[22]. وتفيد أرقام أخرى أن الأموات بالدار البيضاء كانوا يحسبون بالمئات من جراء التيفوس في سنة 1913[23]. وفيما بين نونبر 1913 ومارس 1914 ذهب التيفوس الذي ضرب هذه المدينة بما يمكن تقديره ب 3000 شخص ما بين أوربيين ومغاربة[24] وتحدث هويل HOUEL عن تصاعد عدد الموتى وسقوط آخرين صرعى في قارعة الطريق[25]. وأورد الطبيب كراندورج في مذكراته أن التيفوس عاث في المغرب الشرقي في بداية سنة 1914 وخلف هناك أوضاعا صحية مزرية لدى الجيوش والطيارين المطاردين والسكان[26].

ب. تيفوس 1920-1921 :

كان ابتداء أمر هذه الكرة من التيفوس، كما يبدو من أحد اجتماعات المجلس الأعلى للصحة، من الحدود الشرقية للمغرب إذ لعبت تازة كممر دورا مهما في جعل المنطقة تمور بحالات التيفوس، ومن تازة أخذ الوباء يكتسح أطراف البلاد وظهرت بعض حالاته منذ دجنبر 1920 في سجن الكتانيين وباب دكالة بفاس، وفي شتاء 1921 انتشر في بعض

---

21 المختار السوسي، المعسول، ج 3، ص. 402.

22 - GRAUX (L), le Maroc économique, Paris, 1927, p. 393.

23 - D'AUTRE VILLE (DR), La lutte contre les principales maladie contagieuses à Casablanca, in annales d'hygiène publique, industrielle et sociale, n° 12, dec. 1923, p. 715.

24 - Le typhus, in Maroc catholique, n° 5, mai 1921, p. 155.

25 - HOUEL (H), Mes aventures marocaines edit. Maroc-demain. Casablanca 1954, p. 242.

26 - GRAINDORGE (DR), Carnets de route, Maroc 1911-1914, présentés et illustrés par le Dr MAXIME ROUSSELLE, 1996, p. 56.

الأوراش في بور ليوطي وبلغ أوجه في يبراير ب 20 حالة ثم انطفأ في أبريل ليعاود الاشتغال في الصيف[27]. وامتد التيفوس إلى العدوتين بعد أن طرق البوادي المحيطة بها كزعير وزمور ووجد مرتعا خصبا في عمال الأوراش المشتغلين بتعبيد الطريق التي تصل الرباط بما يتلوها من البوادي جهة الشرق والجنوب.

ومن سجن علي مومن انتشرت عدوى الداء في مدينة الدار البيضاء، وظهرت بعض حالاته في مقالع الحجر وأوراش العمل. ذلك أن اختلاط العمال السجناء في أحد المقالع، مع العمال الطلقاء، قد عمل على نشر العدوى بين عائلات هؤلاء في بعض أحياء المدينة. وبلغ عدد الحالات المسجلة 86[28].

ومثلما كان التيفوس يتسلل إلى الأوراش ويفتك بالعاملين بها من سكان الخيام والنوايل ممن ضعفت بنياتهم بسبب نقص الغذاء، وأصبحت أسمالهم مرتعا للقمل، فيذهب بهم، فإنه أودى كذلك بحياة مجموعة من الأطباء ممن صرفوا عنايتهم إلى مطاردة هذا الداء لما ينشأ عنه من الخطر على حياة الفرنسيين ومشاريعهم. ومن هؤلاء الأطباء : أوكيي AUQUIER، وأكولاس ACCOLAS وجيبرت GIBERT وروبول REBOUL وبويس BOUIS وبولان POULAIN بالإضافة الى ممرضة هي الآنسة فرونتو FRONTAULT. كما أصيب بالتيفوس أحد عشر طبيبا آخرين وأبلوا منه[29].

ولانتوفر إلا على القليل من المعلومات حول عدد من مسهم التيفوس فيما بين 1920 و1921. ومن ذلك ما قدمه الطبيبان أوبرلي OBERLE ورونو RENAUD، إذ أشارا إلى أن عدد الحالات انتقل من 100 سنة 1919 إلى 450 سنة 1920 ثم إلى ما يربو على 1000 سنة

27 - Rapport du conseil supérieur de la santé, 1921, carton 254, archives de Nantes, p. 13 du rapport.

28 - Ibid, p. 17 du rapport.

29 - OBERLE ET RENAUD, la pénétration pacifique pour le médecin au Maroc depuis 1908, extrait des arch de medet et de ph milit, T. LXXVII, n° 3 sept. 1922, p. 32.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

1921[30]. وتلك أرقام لا تهم من المغرب سوى ما كانت تسيطر عليه فرنسا يومئذ.

وتشير وثائق بلدية مراكش Yلى انتشار التيفوس بين سكان المدينة فيما بين دجنبر 1924 وغشت 1925، وتسبب ذلك في ظهور 178 حالة[31]. وحسب كولمباني، الذي قدم دراسة عن هذا التيفوس فإن الازدحام وقلة الماء والبؤس وانطمار الناس في بيوت قليلة الضوء والهواء، هي العوامل الأساسية لفشو هذا الوباء [32] كما أن الفرار من الإجراءات الوقائية من منزل الى آخر كان يساهم بشكل كبير في نشر العدوى.

ج. تيفوس 1927-1928 :

جاء تيفوس 1927 نتيجة جفاف ألم بالبلاد، وخاصة في قسمها الجنوبي حيث حلت مسغبة شهباء بلغت فيها المجاعة بسوس أقساها ومات فيها خلق كثير[33]. ولعل هذا هو السياق الذي بعث فيه المقيم العام ستيگ STEEG رسالة إلى كل المراقبين المدنيين بالمغرب، في ماي 1927 يثير انتباههم فيها إلى ما يتهدد منطقة سوس من أسباب المجاعة نتيجة سوء المحصول وما يترتب عن ذلك من نزوح المتفقرة من سكانها نحو مناطق الشمال[34].

وتعرض لوسيان كرو LUCIEN GRAUX فيما كتبه عن مسغبة 1927 إلى ما أسماهم بالمخلوقات التي ضربها سوء الحظ، "وتزاحفت من الجنوب بأعداد مدهشة بعد أن تركت دواويرها بلاقع... وكانت الجثث تنتصب في المسارب والطرقات... وكاد الهزال وقلة المرعى أن يلويا بالقطعان التي فر بها أصحابها ينتجعون منابت الخصب، وهم يحملون أطفالهم وقد قرح المشي منهم الأقدام" واستطرد كرو

---

30 OBERLE ET RENAUD, op. cit, p. 32.

31 - CATON 837, Marrakech bureau municipal d'hygiène, archives de Rabat.

32 - Ibid.

33 مذكرات مخطوطة للعلامة عمر الساحلي المتوكل، ضمن كتاب "منجزات جمعية علماء سوس" الجزء 3. مكننا من الاطلاع عليها مشكورا الأستاذ عمر آفا من كلية الآداب بالرباط.

34 انظر بعضا من رسالة ستيگ في تقرير LUCIEN GRAUX الذي يحمل عنوان Le Maroc Economique، ص. 298.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قائلا : "إن أطفالا هزلا يطلبون الصدقة ويتخاطفون "جلافيط" اللحم الملقاة حول أوضام الجزارين، وينتزعون النفايات من الكلاب"[35].

وقد ساعدت هذه الوضعية على انتشار التيفوس، وكان سريانه قد بدأ منذ دجنبر 1926 ولربما كان امتدادا لتلك الزخة التي ضرب طائفها مدينة مراكش في سنة 1925. ولم يكن عدد الحالات يتعدى يومئذ 500 في مناطق فاس والرباط ومراكش على الخصوص[36]، غير أنه تفاحش في الناس مع سنة 1927 حيث سرت عدواه من سجن علي مومن ومنها امتدت إلى البوادي المحيطة بالدار البيضاء، فنالت ثمانين شخصا أودت بحياة ستة منهم، واكتسحت ناحية زمور والرباط فأصابت 18 شخصا في يناير، و44 في يبراير، و20 في مارس[37]. ويشير تقرير إدارة الصحة العمومية لسنة 1927 إلى أن هذه السنة كانت سنة وباء حقيقي حيث أعلن عن 1653 حالة معظمها في مراكش[38].

وامتد التيفوس على سنة 1928 حيث سجلت 4132 حالة، 2554 منها في مراكش، و1807 في سوس[39]. وبذلك يكون عدد ما سجل من الحالات خلال التيفوس الذي اكتسح المغرب ما بين نهاية 1926 و1928 هو 6512، وهو رقم يختلف كثيرا عما قدمته دراسة حديثة في الموضوع. إذ يقول صاحبها : "إن التيفوس الذي ظهر في الجنوب مابين 1926 و1928 قد تسبب في وجود 7756 حالة"[40].

وتجدر الإشارة في نهاية الحديث عن تيفوس 1927-1928 إلى أن هذا الداء ذهب في التاسع من فبراير 1928 بأحد كبار الأطباء ويتعلق الأمر ببول شاتنيير PAUL CHATINIERES الذي لعب دورا مهما في عملية

---

35 - LUCIEN GRAUX, le Maroc économique, p. 299-300.

36 -rapport sur l'activité des services du protectorat au Maroc en 1927, direction de shp.

37 حول هذا التيفوس، راجع السعادة ليوم الخميس 31 مارس 1927.

38 - rapport sur l'activité …, op.cit, p. 310.

39 - Rapport sur l'activite des services du protectorat au 1928, ch., XI, D.S.H.P., p. 296

40 - AISSA ABDELMOUMEN, la santé publique au Maroc à l'époque coloniale 1907-1956, thèse de Doctorat en histoire sous la direction de DANIEL RIVET 1997, (thèse dactylographiée), p. 282.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التدخل السلمي بما كان يقوم به من أعمال جعلت سكان تارودانت يتقربون إليه ويتهافتون على علاجاته. وقد وصف هذا الطبيب حالته مع التيفوس في رسالة وجهها إلى صديقه موريس كو MAURICE GAUD قبل أن توافيه المنية بعشرة أيام بقوله : "لقد قرصني التيفوس هذه المرة، وكنت أنتظر ذلك بعض الشيء، وعلى الرغم مما كنت اتخذه من احتياطات، وهي كثيرة، فقد كان من الصعب ألا تتعلق بي قملة تحمل المرض... إني وزوجتي نترقب كل الاحتمالات... أطلب منك كصديق أن تهتم بأهلي وأقاربي..."[41]

2. المرحلة الثانية 1937-1945 :

وفد التيفوس على المغرب خلال هذه المرحلة في كرتين، امتدت أولاهما على سنتي 1937 و1938، وهمت الأخرى سنوات الحرب العالمية الثانية، وقد ارتبطت كلتا الكرتين بما ساد البلاد من أسباب المسغبة والجوع وما ترتب عن ذلك من عوامل الضعف والوهن.

أ. تيفوس 1937-1938 :

يسمى روبير موناطي R. MONTAGNE سنة 1937 بالسنة المخيفة[42] ويسميها روني كاليسو R. GALLISSOT بسنة الجوع[43]. وترتبط هذه التسميات بما ساد من جفاف خلال هذه السنة العجفاء، إذ منعت السماء درها وكانت كمية ما تساقط من الأمطار أقل من المعدل العادي ب 10 % في الأطلس المتوسط، 20 % في دكالة، ومابين 30 و40 % في المناطق الجنوبية وحواشي الأطلس الكبير[44]. ولم تتوصل سوس والرحامنة والحوز والمغرب الشرقي سوى بربع ما ينزل من تساقطات

41 - LAFONT (MICHEL), le témoignage des médecins français au Maroc, in Maroc, littérature et peinture coloniales 1912-1956, publications de la Fac des Lettres, Rabat, 1996, p. 153.

42 - MONSTAGNE (R), Naissance du prolétariat marocain : enquête collective, C.A.A., n° 3, PEYRONNET, Paris 1951, P. 73.

43 - GALLISSOT (R.), le patronat européen au Maroc 1931-1942, édit. techniques nord africaines, Rabat 1964, p. 154.

44 - ROUX (G.) et SCHNIDLER, Les conditions atmosphériques de l'année 1937, in BEM, n°26, 1939, p. 45.

في السنة العادية[45]. بالاضافة الى هبوب رياح الشرگي على المناطق الساحلية خلال شهر يونيو[46].

وكان جنوب المغرب أكثر تضررا من هذه الوضعية المناخية من غيره من المناطق إذ لم تسقط به أمطار منذ ربيع 1935، وأتى على البلاد موسمان رديئان في 1935 و1936[47] وزاد انحباس المطر في سنة 1937 من تفاقم الأزمة، وتميزت الأشهر الأربعة الأولى من هذه السنة بارتفاع غير مألوف لدرجات الحرارة في المناطق التي مسها الجفاف مما قلل من رطوبة الجو وزاد من تبخر مياه السطح[48]، ولم يحصل الفلاحون نتيجة ذلك حتى على ما زرعوه من بذور في المغرب الشرقي وفي كل مناطق جنوب مراكش كالحوز وسوس ودرعة وتافيلالت[49].

وتحولت المناطق التي ضربها الجفاف إلى "فرن يحترق فيه البهائم والناس"[50]، وأصبحت بفعل القيظ عوالم من السراب، وتحدث مراسلو الصحف آنذاك عن هبات الشرگي على عاصمة الجنوب وعن العاصفة الوردية التي تحمل المجاعة[51]، فهلكت الماشية، وأصبحت الأشجار أشباحا عارية لاورق لها ولا ظل، وكاد الجدب أن يهلك الحرث والنسل ويترك الديار بلاقع[52]. وكان من نتائج ذلك أن انتشرت المجاعة واشتدت المسغبة في الناس فقلت الأقوات وغلت أثمان المواد الغذائية بشكل مثير للانتباه، فقد ارتفعت أسعار دقيق القمح ب 62 % للكلغ، والشعير 70 % للقنطار،

---

45 ROUX (G) et SCHNIDLER : Les conditions atmosphériques du 1er trimestre 1937 et leurs répercussions économiques, in BEM, n° 16, 1937, p. 123.

46 - ROUX ET SCHNIDLER in BEM, n° 17, 1937, p. 241.

47 - MOULIN (R), Famine au Maroc, in petite gironde du 16/6/1937.

48 - Résidence Générale De La République Française Au Maroc Mesures prises pour lutter contre la famine et la maladie, note présentée au conseil du gouvernement du 25 juin 1937, rabat, imprimerie officielle, p. 2.

49 البير عياش، الحركة النقابية بالمغرب، ج 1، (1919-1942) ترجمة نور الدين سعودي، مراجعة العربي مفضال، دار الخطابي، المحمدية 1988، ص. 157.

50 - DORGELES (ROLAND), Le soleil qui tue, in intransigeant du 17/6/1937.

- DORGELES (ROLAND), Le soleil qui tue, in intransigeant du 17/6/1937.

51 - SAUVAGE (MARCEL), Aux écoutes du Maroc en fièvre, in intransigeant du 11/9/1937.

- SAUVAGE (MARCEL), Aux écoutes du Maroc en fièvre, in intransigeant du 11/9/1937.

52 الحكومة ومقاومة البؤس، السعادة ليوم 21 أبريل 1938.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والسكر ب 28 % للكلغ، وزيت الزيتون ب 100 % للتر، والزبدة ب 80 % للكلغ[53]. ويوضح الجدول التالي ارتفاع مؤشر الأثمان في بعض المدن مابين ماي 1936 وأكتوبر 1937 :

المدن	مؤشر ارتفاع الأثمان	
	ماي 1936	31 أكتوبر 1937
الرباط	100	168
مازيغن	100	179
فاس	100	179
تازة	100	168
وجدة	100	171
الدار البيضاء	100	149
مكناس	100	153
أكادير	100	144[54]

وباشتداد وطأة الجوع على الناس، انكفأت موجات بشرية كبيرة ممن ضاقت بهم وجوه الأسباب، على شكل مسيرات سماها دانييل ريفي D. RIVET "مسيرات الجوع"[55] مولية وجهها شطر المناطق الشمالية وكبريات المدن. وكانت جموع المهاجرين تسير كسحائب من الجراد تاركة وراءها بعض من نال منهم الجوع والوهن أو من خر صريعا يلفظ أنفاسه الأخيرة. وكانت هذه الجموع تعلم بالجثث الطرق التي كانت تسلكها[56]. وبتسايل المجموعات البشرية على مدن الشمال، امتلأت الشوارع بمتسولين "ليس لهم إلا الهيكل العظمي المستور بالجلد وهم حفاة عراة جياع، ألح عليهم الجوع حتى أصبحوا لايستطيعون حراكا ولايقدرون على الكلام إلا همسا"[57]. وكانت مدينة مراكش أتعس حالا بما كان يدلف إليها من حشود الجياع والمتسولين الذين كظت بهم المسالك والأسواق. "فكنت ترى وجوها مغبرة وألوانا شاحبة وأسمالا بالية متقطعة وولدانا مشردين... ولو مررت على ضريح السبتي والجزولي

---

[53] أحمد تفاسكا، تطور الحركة العمالية في المغرب، دار ابن خلدون، الطبعة الأولى، بيروت 1980، ص. 100.

[54] - Les indices des prix au Maroc, in les travaux nord-africains, 2 juillet 1938.

[55] - RIVET (D), le Maroc de Lyautey a Mohammed v, le double visage du protectorat, édit Denoël, Paris 1999, p. 248.

[56] ألبير عياش، م.س.، ص. 158.

[57] البؤس بالمغرب، الأطلس، 1937/4/16.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والتباع والغزواني لرأيت هولا عظيما ومنظرا مزعجا حيث يجتمعون هناك لاستعطاف الزوار..."[58].

وكان طبيعيا والحال على ما تم وصفه، أن ينتعش التيفوس من رماد هذه المسغبة ويجد له مرتعا بين جموع غفيرة من الجياع وضعاف البنية، فعاث فيهم بشكل مدمر.

امتد وباء التيفوس من خريف 1937 إلى خريف 1938، وكان يتميز بالانتشار السريع والقدرة الفائقة على حصد البشر، وقد ضرب طائف هذا الداء بشدة مدينتي مراكش والدار البيضاء. وهما من أهم مناطق الاستقطاب البشري :

– بالنسبة لمراكش : نزل فيها الوباء في نونبر 1937 ولبث فيها حتى أبريل 1938 ومنها تفشى في ما يجاورها من الأصقاع، وساهم وجودها في ملتقى الطرق وكونها منطقة هجرة مباشرة لكل وافد مما يلي الأطلسين من البلاد، بالإضافة إلى احتوائها على جامع الفنا كساحة للتجمع البشري، في جعلها مركزا يعج بعدوى التيفوس.

طرق التيفوس كل أحياء مدينة مراكش وكذا القصبة والملاح، فاضطربت أحوال المدينة ومرج أمر الناس وتوقفت المدارس والكتاتيب، وأصيب كثير من الأوربيين وعلى الخصوص من بين العناصر التي كانت طبيعة عملها تجعلها على اتصال مباشر مع المغاربة كالتجار والأطباء والممرضين ومستخدمي النقل وغيرهم. ويوضح الجدول التالي ما كانت عليه الحالة في مراكش جراء التيفوس ما بين 16 دجنبر 1937 و11 يناير 1938 :

[58] مدينة مراكش وتعاسة الفقراء، الأطلس، 1937/3/26.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التاريخ	المغاربة		الأوربيون	
	عدد الحالات	عدد الوفيات	عدد الحالات	عدد الوفيات
16 دجنبر 1937	338	37	13	1
21 دجنبر	437	54	19	1
4 يناير 1938	710	110	22	3
11 يناير	732	120	29	5[59]

ويلاحظ من خلال هذا الجدول كثرة عدد حالات التيفوس وما يترتب عنها من وفيات لدى المغاربة مقارنة مع ما هي عليه الحال لدى الأوربيين الذين يقل عدد حالات التيفوس بينهـــم ويقل معها بشكل ملحوظ عدد من حصدهم الموت بسببه. ومرد ذلك إلى اختلاف مستوى العيش بين الفئتين، إذ تعيث المجاعة بشكل طاحن بين المغاربة، بالإضافة إلى تفاوت مستوى النظافة وحفظ الصحة. وتلك عوامل كافية لجعل المغاربة عرضة لداء التيفوس بشكل كثيف.

– أما بالنسبة لمدينة الدار البيضاء، فقد استشرى التيفوس بها في دجنبر 1937، واستمر إلى يونيو 1938، بعد أن بلغ ذروته في مارس، ومنها انتشر في ما يحيط بها من بوادي فعاث في الشاوية بشدة[60] وساهمت عوامل الاتصال المباشرة والمستمرة بين هذه المدينة وما يتولاها من المناطق، في امتداد الوباء إلى كثير من جهات الشاوية ودكالة، فبلغ عدد الحالات المسجلة في سطات 222 و205 في بن أحمد[61].

ويوضح الجدول التالي عدد حالات التيفوس المعلنة من فاتح أكتوبر 1937 الى 30 شتنبر 1938 في المكتب الصحي للدار البيضاء[62].

59 E.S, l'épidémie de typhus à Marrakech, in Maroc médical janvier 1938, p.41.

60 GAUD (M) ET BONJEAN (M), L'épidémie de typhus d'octobre 1937 à septembre 1938, in BI.H.M. III-IV juillet-decembre 1938, p. 22

61 Ibid, p. 22.

62 Ibid, p. 20

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشهور	الأوربيون	المغاربة يهود ومسلمين	الشهور	الأوربيون	المغاربة يهود ومسلمين
أكتوبر	0	0	ابريل	38	66
نونبر	1	15	ماي	16	35
دجنبر	4	72	يونيو	9	42
يناير	13	39	يوليوز	3	14
فبراير	27	63	غشت	2	5
مارس	43	191	شتنبر		
	88	370		68	158

ولم تكن بقية مناطق المغرب بمنجاة من هذا التيفوس، فقد سرت عدواه في كثير من الجهات. ذلك ما يوضحه الجدول الآتي[63] :

المناطق	عدد الحالات المسجلة 1937-1938
الدار البيضاء	2952
الرباط	589
الغرب	129
مكناس (بما في ذلك أقاليم تافيلالت والأطلس المتوسط)	128
فاس	402
تازة	76
وجدة	64
مراكش	4311
آسفي (مع عبدة والشياظمة)	224
مازيغن (الجديدة)	380
حدود درعة	25
المجموع	9280

ولاتقدم الأرقام المبسوطة في خانات هذا الجدول نظرة حقيقية عما كان عليه حال المناطق مع التيفوس، ذلك أن هذه الأرقام لاتهم في الغالب سوى المدن والبلديات وما يليها مباشرة من البوادي. أما المناطق النائية التي قصم الوباء، دون شك، كثيرا من مداشرها وقراها، فقلما ترد بشأنها إحصاءات. وعليه فإن الرقم النهائي المقدم يبقى دون ماكانت عليه حقيقة الأمور، فكاليسو GALLISSOT الذي قدم في دراسته 10.000 كعدد لحالات

63 Rapport sur l'activité des services de la DSHP pendant l'année 1938, in B.I.H.M., janvier-juin 1939, p. 124.

التيفوس في سنتي 1937-1938، وهو رقم يتجاوز ما جاء في تقرير إدارة الصحة، يرى أن ذلك العدد أبعد من أن يطابق الحقيقة[64].

ب - التيفوس خلال الحرب العالمية الثانية :

ساهمت ظروف الحرب العالمية الثانية وما رافقها من خصاص في الأقوات والأثواب والصابون في تفاقم الوضعية الغذائية والصحية للمغاربة، وزاد الأمر تعقيدا مع غياب المواد الأساسية وتقنينها بشكل أصبح معه الحصول على القليل منها يقتضي ورقة التموين، أو اقتناءها بأثمان باهضة من السوق السوداء.ولعبت مجاعة 1945 دورا تكميليا في هذا الاتجاه. فهيأت المغاربة جسميا لاستقبال مزيد من عيث التيفوس وفتكه، ويعتبر التيفوس الذي طرق المغرب خلال الحرب العالمية الثانية، وامتد طوال كل سنواتها، مع تفاوت في حدة الإصابة وعدد المصابين من سنة لأخرى، ذيلا لوباء 1937-1938 ورديفا له.

يفيد تقرير إدارة الصحة العمومية لسنة 1939 أن معظم حالات التيفوس سجلت بين المغاربة، واستأثرت شهور يناير وفبراير ومارس وأبريل بأكبر حصة من الحالات، وكان نصيب الشاوية وحدها ما يقارب نصف عدد المصابين المسجلين أي 491[65].

وكان العدد المسجل سنة 1940 أقل بكثير مما سجل في سنة 1939، وتأتي تازة في مقدمة المناطق المصابة بما يقرب نصف عدد الحالات أي 176 حالة[66]. واشتدت في سنة 1941 وطأة الوباء فجأة ليبلغ عدد مجموع الحالات 1666[67]، وتأكد أن التيفوس اتخذ اتجاها آخر مخالفا لما كان متعارفا عليه أي من الجنوب نحو الشمال، ليضرب من الشرق نحو الغرب مكتسحا كثيرا من المناطق على غرار ما وقع سنة 1921، حيث تسلل من مسارب الريف وممر تازة ليضرب في أعشار

---

64 GALLISSOT (R)., Le patronat européen au Maroc (1931-1942), edit. techniques nord-africaines, Rabat, 1964, p. 154.

65 Rapport sur l'activité des services de la direction de la santé de l'hygiène publiques pendant l'année 1939, in B.E.H.M., III + IV (juillet-dec.), 1939, p.219.

66 Rapport sur l'activité des services de la direction de la sante de l'hygiène publiques pendant l'année 1940, in B.I.H.M.X., 1940, p. 100.

67 Rapport de 1941, in B.I.H.M. 1941, p. 118.

السهول الأطلسية انطلاقا من بني يزناسن التي كانت تشكل ممرا لامحيد عنه للنازحين من الريفيين للعمل في الجزائر ذهابا وإيابا.

ويوضح الجدول التالي توسع التيفوس في المناطق[68]

المناطق	الحالات	المناطق	الحالات
تازة	574	الشاوية	157
فاس فاس	235	الدار البيضاء واد زم	12
تافيلالات	125	مازيغن	4
مكناس مكناس	45	آسفي – الصويرة	4
الغرب	45	مراكش مراكش	17
الرباط الرباط	33	أكادير الحدود	3

وأدى تفاقم حدة الأوضاع المعيشية للمغاربة في سنة 1942 حيث قلت الأثواب ووسائل التنظيف وامتدت الطوابير أمام خزائن الأقوات فانفسح أمام التيفوس أفق التوسع والانتشار فعاث بشكل خطير إذ بلغ عدد الحالات المسجلة 802. 28 منهم 556 أوربي[69]. أما توزيع هذا العدد على المناطق فيوضحه الجدول التالي :

المناطق	عدد الحالات	المناطق	عدد الحالات
وجدة	2565	أكادير - الحدود	808
فاس تازة	3330	ورززات	200
فاس	3700	مراكش اسفي	101
مكناس تافيلالت	2089	مراكش	651
مكناس	2734	دكالة	541
الرباط الغرب	3326	الدار البيضاء واد زم	804
الرباط	4577	الشاوية	3376
لمجموع 28.802			

وفي سنة 1943 بلغ عدد المصابين المسجلين 16190 أي 60 % مما سجل في سنة 1942[70] موزعين على المناطق كما هو في الجدول التالي[71] :

68 Ibid, p. 119
69 Rapport de la santé publique de 1943, in B.I.H.M., II 1942, p. 129.
70 Rapport de la santé publique de 1943, in B.I.H.M., II 1943, p. 172.
71 Ibid, p. 172

المناطق	عدد الحالات	المناطق	عدد الحالات
الشاوية	3329	فاس فاس	1524
الدار البيضاء دكالة	659	وجدة تازة	625
واد زم	2510	مراكش مراكش	51
الرباط الرباط	722	ورززات	425
الغرب	572	آسفي - الصويرة	1253
مكناس مكناس	1035	الحدود	658
تافيلالت		أكادير	223
المجموع : 16.191			

وبلغ عدد المصابين بالتيفوس في سنة 1944، حسب إحصاءات إدارة الصحة العمومية 3061[72]. ويلاحظ أن عدد الحالات قد تقهقر كثيرا عما كان عليه في سنة 1943، وهو أمر يفسره تقرير إدارة الصحة لهذه السنة بتحسن الأحوال الصحية، ومن ثم نقص عدد الاستشفاءات والوفيات، غير أننا لا نشاطر مقرر إدارة الصحة هذا الرأي، ولنا ما يسند اختلافنا معه في ما نعرفه عن سنة 1944 وهي سنة تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال، التي ارتبطت بها أجواء مشحونة ضد الفرنسيين، مما قد يدفع العاملين في ميدان الصحة إلى الاستنكاف، ولو من باب رد الفعل الانتقامي، عن إسعاف الحالات وبالأحرى ضبطها أو تسجيل أعدادها، في وقت نقص فيه عدد الأطباء العاملين بالمغرب ب 40 % للالتحاق بجبهات المعارك[73].

وكانت سنة 1945 من أصعب السنوات التي عرفتها إدارة الصحة العمومية كما ورد في ديباجة التقرير السنوي لهذه الإدارة، ذلك أن جفافا فريدا من نوعه ضرب البلاد منذ خريف1944 وامتد على طول سنة 1945 فأبطأت السقيا واحتبس الغيث، في وقت نفذت فيه المؤن، وساهمت المصادرات المرتبطة بالحرب في انتساف المخازن من الأقوات. ولم يتعد إنتاج الحبوب وهي غذاء أساسي للمغاربة، سوى 3.5 مليون قنطار[74]. وكان طبيعيا، والحالة هذه أن تنتشر المسغبة في أرجاء البلاد ويعم الجوع بين الناس، فنزح سكان البوادي مولين وجوههم شطر المدن الكبرى بعد

---

72 Rapport de la santé publique en 1943, in B.I.H., IV, 1944

73 انظر المداخلة التي ساهمنا بها في الندوة الدولية التي انعقدت بالرباط في نونبر 1996، وعنوانها "أثر الحرب العالمية الثانية على الأحوال الصحية بالمغرب"، ضمن كتاب : "المغرب وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية"، ص. 97.

74 JOLY (F), l'agriculture céréalière au Maroc, in GBESM, n° 28, 1946.

أن ضاقت بهم سبل العيش هناك، وكان البعض منهم يتهاوى من فرط الجوع والوهن، بل إن الدار البيضاء أصبحت مدينة الموت لآلاف المهاجرين نحوها[75].

وقد وجد التيفوس في الجياع والمهاجرين نحو المدن مرتعا للفتك والعثيان، وبلغ عدد من أحصي من المصابين 8158[76] وعمت بلوى التيفوس كل مناطق المغرب، واستأثرت منطقة الشاوية بأكبر حصة من المصابين تتلوها منطقة مراكش.

ويوضح الجدول التالي توزيع عدد الحالات على المناطق

المناطق	عدد الحالات	المناطق	عدد الحالات
الشاوية	2327	فاس فاس	810
الدار البيضاء دكالة	12	وجدة تازة	124
وادر زم	727	مراكش	52
الرباط الرباط	371	مراكش ورزازات	1026
الغرب	36	آسفي-	153
مكناس مكناس	406	الصويرة	197
تافيلالت	915	أكادير الحدود	830

ثالثا : الحماية ومكافحة التيفوس :

I. المرحلة الأولى : 1913-1928 :

قذف تيفوس 1913-1914 كثيرا من الرعب في قلوب الوافدين على المغرب لما كان يتميز به من سرعة في الانتشار ومعاجلة بالموت، في بلد لم يستتب أمره بعد للفرنسيين ولا يحتوى على تجهيزات صحية من شأنها أن ترد عنهم خطر الموت الزؤام.

وسعيا منهم في تهييء الجو الصحي المناسب للقادمين من الفرنسيين نحو المغرب وتبديد مخاوفهم مما قد يتهددهم من التيفوس، اتجه المهتمون بالصحة إلى تسطير مجموعة من الإجراءات التي من شأنها أن

75 - RIVET (D), la recrudescence des épidémies au Maroc durant la 2ème g.m. : essai de mesure et d'interprétation, in HESPERIS-TAMUDA, vol. XXX ; fasc, 1, 1992, p. 99.

76 Rapport du S.S.H.P. de 1945, in B.I.H.M., V. 1945, p. 168.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقي الوافدين شر ذلك الداء. وكان أول ما تم في هذا الباب، صدور مذكرة تحمل الإجراءات الوقائية اللازم اتخاذها ضد التيفوس. ومما جاء في تلك المذكرة : "إن وجود الفنادق والمساجد والأضرحة التي يلجأ إليها كثير من الفقراء المرضى، يشكل خطرا دائما على السكان الأوربين المتزايدين دون انقطاع والذين تحتم عليهم الظروف بأن يعيشوا على اتصال بالمغاربة"[77].

وتمشيا مع هذا المنطق عملت سلطات الحماية على تنقية المدن مما يوجد بها من الفقراء والبائسين المتسكعين وخصصت لذلك حملات بوليسية، كما نظمت أحزمة من الحراسة على أبواب المدن حتى لايلجأ إليها المهاجرون والجياع ممن قذفت بهم النوى نحو المراكز الحضرية، وضربت الخيام وأقامت البراريك على بعد كيلومتر أو كيلومترين من أبواب المدن لإيواء من تقبضت عليهم حملات الانتشال البوليسية- حيث كان يتم تحميمهم بالصابون الأسود أو الكريزيل وتقدم لهم جلابيب بعد أن تحرق أسمالهم الرثة الوسخة، بالاضافة الى وجبة يومية من الحريرة وبعض الخبز. وقد بلغ عدد من تم إيقافهم من البؤساء في الحملات البوليسية بالرباط ما بين مستهل يناير وبداية مارس 1914 "2400 ووجهوا مع بعض النفوذ نحو قبائلهم[78]. ونظرا لارتباط التيفوس بالجوع والفقر وتدني الأوضاع الاجتماعية، فقد تنبه أطباء الرعيل الأول في الحماية الى ما يمكن أن يشكله عيش الوافدين من الفرنسيين بين ظهراني المغاربة من أخطار، وانبروا يكيلون لهم النصح داعين إلى التزام كثير من الحيطة والحذر وضرورة الابتعاد عن حشود المغاربة تلافيا لعدوى التيفوس وفتكه، وفي هذا الصدد كتب الطبيب موران MAURAN : "إن التيفوس ازهرار مفسد ينبت على أنقاض الحضارات المنهوكة، وسط حشود جائعة ومستسلمة وجاهلة وغير واعية"[79]. وقال أيضا : "إن استمرار التيفوس وثباته في الأوساط المسلمة وصعوبة تطهير المدن وتبديل حالتها يخلق لدى الأوربيين واجب الفرار من الحشود المستلمة وتجنب أي

---

77 B.O. du 13 février 1914, p. 102.

78 - RIVET (D), Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc (1912-1925), T. 2, Paris, l'harmattan, 1988, p. 236.

79 MAURAN (OR), étude sur l'épidémiologie au Maroc, in B.O. du 10 juillet 1914, p. 559.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إقامة في الأحياء التي يتجمهرون فيها، كما يخلق لدى رؤساء المصالح البلدية واجب النصح بالفرار وتسهيله"[80].

ووعيا منها بخطورة ما قد يترتب عن لسعات القمل من انتشار التيفوس فقد بادرت سلطات الحماية إلى شن ما أسماه ريفي RIVET "الحرب على القمل" وحثت الناس على تنظيف ثيابهم من القمل ومشط شعورهم بمشط يغمس قبل استعماله في الخل الساخن[81].

أما الإجراءات الطبية فقد انحصرت في كبرتة الملابس والأشخاص واستعمال كلورور الجير وإحراق ما ليست له قيمة كبيرة[82] ولو أن عملية الإحراق هذه كثيرا ماكانت تضر بالناس وتزرع فيهم كراهية الطبيب ومن معه من أعوان السلطة لأن كل ماتحتويه الخيمة أو الكوخ، وهو متاع قليل، له قيمته عند صاحبه.

غير أن محدودية الوسائل التي كانت مرصودة للاهتمام بمن كان يتم عزلهم من المنتشلين دفعت الطبيب PEAN وهو يحاول رد خطر التيفوس الجارف على الرباط سنة 1914 إلى التساؤل : "من مجموع 2400 معزول كم كان سيشفى منهم بسرعة لو أنهم لزموا الفراش في غرف مغلقة وصحية ؟ كم كان سيموت منهم، دون همس لأنهم لم يجدوا ما يلحفهم سوى خرقة قماش، وما يفترشونه سوى الحصائر ؟"[83]

وعلى إثر التيفوس الذي عاث في المغاربة مابين سنتي 1920و1921، طرحت من جديد مسألة "السكان العائمين" إذ أمت المدن حشود من المتسولين والجياع، الذين ينقلون العدوى، مما حتم اجتماع المجلس الأعلى للصحة في ربيع 1920 وجاء تقرير الاجتماع بعدد من الإجراءات تهم الجانبين العسكري والمدني للرباط وسلا على وجه التخصيص.

---

[80] Ibid

[81] إدارة الصحة العمومية، محاولة التيفوس، الوسائل لمحاربته والوقاية منه، د.ت.، ص. 7.

[82] Note du DR ZIMBIEHL, directeur du sce de la santé et de l'assistance publiques sur la désinfection urbaine B.O. du 24 juillet 1914, p. 622

[83] RIVET (D), Lyautey et l'institution …, t. II, p. 230

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونظمت حملات نشل الفقراء والمتسكعين في مختلف أحياء الرباط وتم التركيز على الفنادق التي أرسل نزلاؤها إلى محطات التفلية، كما أقيمت حراسة على الأبواب والقطار، وأمام المعابر ومداخل الطرقات لتمنع دخول المدينة على من يؤمها من الجياع وأبناء السبيل، وفي الوقت ذاته كانت مصالح الصحة تقوم بفحص الحمالين وماسحي الأحذية والگرابة، بينما كانت المجموعة الصحية المتنقلة تجوس حول مضارب الخيام والدواوير، غير بعيد من أسوار المدينة لتفتش العمال القاطنين بها. وحتى تقي العمال من شر التيفوس، في وقت كانت فيه مدينة الرباط تزخر بالعاملين في مختلف الأوراش (بناء المرافق – مد الطرق والسكك...)، فقد سارعت إدارة الحماية إلى اتخاذ إجراءات تهدف من ورائها إلى الحفاظ على هؤلاء العمال، وضمان سلامة من يشرفون عليهم من الأوربيين وذلك ب :

- إقامة حزام صحي حول الأوراش التي يشك في سلامتها بمنع الاتصال مع الجيران وسد الطريق أمام المهاجرين من العمال المرضى نحو الرباط.
- عزل العمال المرضى عن الأصحاء، وعزل خيام الأوربيين عن العمال المغاربة.
- تفلية العمال وتحميمهم وفرك ذواتهم بالبترول.
- تفلية الملابس وغسلها وتطهيرها عن طريق الكبرتة[84].

وبتفاحش التيفوس سنة 1921، راسل كولمباني، وهو يومئذ نائب مدير الصحة، كاتب الحماية العام، يثير انتباهه فيها إلى ضعف الأحزمة الصحية وإمكانية تسلل الداء عبر كل طرق الاتصال. وفي أقل من أسبوع من ذلك أصدرت الجريدة الرسمية مرسوما وزاريا يتضمن الإجراءات اللازم اتخاذها لمنع تفشي الأمراض الوبائية على الحدود الجزائرية–المغربية[85]، وجاء في هذا المرسوم أن التنقية إجبارية على العمال المغاربة المهاجرين بالاضافة الى ضرورة توفر كل واحد منهم على بطاقة تعريف تتضمن معلومات عن شخصه وقبيلته والمنطقة التي ينتمي

84 Conseil supérieur de la s.h.p. séance du lundi 26 avril 1920 carton 331, b. archives diplomatiques de Nantes -. épidémie- - dossier : santé

85 B.O, n° 448 du 24 mai 1921, p. 847-848

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إليها، ومكان التنقية والتحميم وتاريخها، وكان الهدف من هذا المرسوم هو وضع صمام أمان بين المغرب والجزائر يحول دون تنقل المرضى من هذه الجهة إلى تلك.

وما إن أعلن في ربيع 1927 عن بعض حالات التيفوس بالدار البيضاء حتى قررت بلديتها خوض "الحرب الكبرى ضد القمل" وتغلية كل المغاربة المشتبه فيهم، وتم في هذا الاتجاه تطهير وسائل النقل العمومية من حافلات وسيارات أجرة من طرف متطوعين مقابل 0.50 ف للسيارة[86].

وتم بمدينة مراكش بناء محجر بلدي مجهز على بعد كيلومتر واحد من المدينة على طريق أسني ويضم مرفقين :

- المحجر ومعه محطة للتغلية ويحتوي على قاعة لإزالة الملابس ودوشات وقاعة للتعريف وأخرى لكبرتة الملابس
- مركز للإيواء ويضم بيوتا معزولة للمشتبه فيهم ومطبخا وأماكن للتصبين، ويمكن لهذا المركز أن يستقبل 1000 شخص، كما يمكن توسيعه بإضافة خيام بجواره[87].

ويفيد محضر اجتماع لجنة حفظ الصحة في الصويرة، بما تم القيام به في هذه المدينة وضواحيها ضد انتشار التيفوس، إذ اتخذت إجراءات صارمة ضد تجارة الرثاثة كما اتخذت احتياطات ضد القادمين من سوس وضربت حراسة مشددة على مايلي المدينة من البوادي، وتمت تغلية كل سكان الدواوير[88].

ولسد الطريق أمام عدوى التيفوس أنشئت مراكز للإيواء والتغلية في أيت أورير وسيدي رحال وبن گرير والقلعة وأزيلال وگرامة وبوذنيب وقصبة تادلة وبني ملال وبجعد وميدلت ومراكش حيث كان يتم جمع الفقراء والمتسكعين، فيخضعون للتغلية وتطهر ثيابهم ثم يطعمون

86 - LUCIEN GRAUX (DR), le Maroc économique 1927, p. 393 (indication infrapaginale).

87 Rapport sur l'activité des services du protectorat en 1928, ch ix, d.s.h.p. imprimerie officielle, Rabat 1929, p. 296.

88 Carton a 1554-mogador ; pv du 7 mai 1928, archives de Rabat .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويستخدم بعضهم في أوراش بالمناطق القريبة من قبائلهم الأصلية[89] ويوضح الجدولان الآتيان عدد التفليات التي تم القيام بها في بعض كبريات المدن خلال سنتي 1927 و1928 :

المدن	عدد التفليات سنة 1927
مراكش	68.305
الدار البيضاء	45473
الرباط	45.257[90]

المدن	عدد التفليات سنة 1928
مراكش	78153
الدار البيضاء	67.787
الرباط	49.784
سلا	10.486
مكناس	10.185
القنيطرة	4182[91]

II.المرحلة الثانية : مكافحة التيفوس ما بين 1937 1945 :

1. في سنتي 1937-1938 :

خلق تفاحش التيفوس خلال سنتي 1937-1938 حالة من الرعب لدى الأوربيين لا تعبر عنها سوى ما كانت تتميز به الإجراءات المتكاثفة لمكافحته من سرعة في التقرير والبث، إذ بادر القائمون بشؤون الصحة إلى محاولة حسم الداء وحصر انتشاره درءا لخطره عن المدينة الأوربية، مستعملين في ذلك ثلاثة إجراءات، هي عزل السكان والتفلية والتطهير، ثم التلقيح.

89 GRAUX ; op. cit, p. 393 indication infrapaginale.
90 Rapport sur l'active des services…, op.cit., p. 310.
91 Rapport sur l'activite des services du protectorat au Maroc en 1928, imprimerie officielle, Rabat 1929, p. 297.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أ. عزل السكان:

شنت سلطات الحماية في هذا الصدد حملات نشل واسعة ومتواترة لجمع المتسكعين والبؤساء والجياع ومن لامأوى لهم ولاعمل لما ينشأ عن وجودهم من الضرر والعدوى.

ففي الرباط تم اتخاذ إجراءات دقيقة لعزل البؤساء المغاربة الذين دفع بهم الجوع إلى المدينة : "إذ كان يتم التقاطهم من أزقة المدينة العتيقة ويتم تكديسهم في شاحنات لاستياقهم إلى قاعة التمريض حتى لايعبروا الأزقة الأوربية مشيا على الأقدام وينشروا بها روائحهم النتنة وطفيلياتهم"[92]. وفي مراكش تورد "الأطلس" أن السلطات كانت تمعن في التقاط هؤلاء البؤساء ولكن إلى أين ؟ إلى البوادي والشعاب ليموتوا فيها... ومن عاد منهم سيق إلى السجن[93]. أما في الدار البيضاء فإن الظاهرة كانت أدهى، ولربما كان مرد ذلك إلى كثرة من كانوا يدلفون نحوها من المهاجرين. وقد وصف گو GAUD مدير الصحة يومئذ في إحدى مذكراته عن هذه المدينة حالة المتسكعين بها وما يشكلونه من خطر على الساكنة الأوربية هناك، بقوله : "استولى هؤلاء المتسكعون على الشارع، ففي النهار يتحرشون بالمارة ويحتكون بهم، وأحيانا يهددونهم حتى ينالوا منهم ما ينتظرونه من صدقة، وعندما لا يتسولون يستقرون في زاوية الأزقة، على مقاعد النزهة العمومية حيث يفلون ذواتهم ويضعون بجانبهم ما تحصل لديهم من طفيليات قد تلتصق عن غير قصد بالأوربيين، وفي الليل يجلسون متفرقين أو على شكل مجموعات صغيرة تحت أقواس الشوارع الرئيسية أو على عتبات الأبواب وهم يقومون بنفس عملية الفلي واضعين طفيلياتهم على عتبات منازل الأوربيين"[94].

وأرسل گو تبعا لذلك تعليمات مليئة بالعداء للبؤساء والمتسكعين، وأصر على تحويطهم بحصار تحصينا للمدينة ومن يقطنها من الأوربيين، وهو ما عكسه كتيب صدر عن إدارة الحصة حول التيفوس ووسائل

---

92 - NOSSEK (M), la crise sanitaire, in feuille d'anis du 8/6/1937.

93 مدينة مراكش وتعاسة الفقراء، الأطلس ليوم 1937/3/26.

94 -RIVET (D), hygienisme pasteurien et exclusion des pauvres dans la ville coloniale : exemple du Maroc de début des années 1930-1945, in mélanges, sous la direction de CH. RT AGERON, ZAGHOUAN, juin, 1996, p. 691.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقاومته والاحتراز منه إذ ورد في بعض فقراته : "يجب أن نحترس... أثناء فترة الوباء من ارتياد الأماكن المكتظة بالناس، دون داع، ففيها تكثر حظوظ انتشار الطفيليات كالأسواق والحمامات والساحات والمقاهي المغربية التي يرتادها المتسكعون والبؤساء"[95]، واشتطت الأمور إلى أبعد من ذلك عندما قيل إن مديري المدارس أشاروا على التلاميذ الأوربيين بأن يبتعدوا عن أولاد المسلمين لأن فيهم مكروب التيفوس"[96].

ورتبت سلطات الحماية، من جهة أخرى، على منافذ المدن حراسا وبوابين لمنع من كان يتسايل من الناس عبر الفجاج والثنايا المفضية من الأطلسين، من ولوج المراكز الحضرية. وكان توقيف الحشود يتم في أبواب المدن وعلى وسائل النقل، وكان المشبوهون ممن تحصل في قبضة الحراس، يعرضون على الفحص الطبي لمدة ثمانية عشر يوما على الأقل، ثم تأتي الأوامر بردهم الى دواويرهم الأصلية مشيا على الأقدام، أما المنهوكون منهم أو المنتكسون الذين تسللوا ثانية الى المدينة بعد الطرد فيوضعون في مخيمات الإسعاف الجهوية التي انشئت من أجل ذلك بالمذكرة المقيمية رقم 2300 المؤرخة ب 1937/11/2[97]، وحتى يتم إيواء من تم القبض عليهم من البؤساء والمتسكعين في عمليات النشل، فقد تم إنشاء مخيمات خارج المدن، كما تم استغلال بعض المراكز كبرج هيرفي وقصبة الصخيرات بالرباط، وكان يقدم لنزلاء المخيمات والمراكز طعاما ريثما يتيسر إرجاعهم الى مواطنهم، وفي انتظار ذلك كانوا يقومون بأعمال الترميم وترصيف الطرق وحفر الآبار وتكسير الأحجار وفتل الدوم.

غير أن ماكان يصرف على هؤلاء البؤساء لم يكن يغني ولايسمن من جوع لأن النفقات في هذا الباب كانت محدودة جدا أمام تزايد عدد الوافدين على المراكز، وهو ما عبرت عنه "السعادة" بقولها : "إن بلدية الرباط أصبحت غير قادرة على التكفل بأعداد النازحين وأن جهودها أصبحت غير كافية لمواجهة الحالة بالرغم من المساعدة التي أمدتها بها الناحية"[98].

---

[95] Le typhus exanthématique, les moyens de le combattre et de s'en protéger, publication de la D.G.S.P., Rabat 1938, p. 12.

[96] البيضاء تحت الكرنتينة، الأطلس ليوم 1937/3/26.

[97] RIVET (D), hygiénisme pasteurien..., p. 694.

[98] لوقاية الرباط من الأمراض، السعادة ليوم 13 غشت 1938.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ب- التفلية والتطهير:

أقامت سلطات الحماية محطات للتفلية والتطهير[99]، وكان يشخص إلى تلك المحطات بكل من أمسكت بهم حملات جمع المتسكعين وأبناء السبيل، وغالبا ما كانت تستدعى أحياء ودروب بكاملها إلى مكان التفلية والتطهير إذ يتكلف أعوان السلطة من شيوخ ومقدمين بإبلاغ الناس عن ميقات يوم معلوم، يحشر الناس من ضحاه إلى مكان معين في المدينة أو خارجها. ويتكلف حجامون بحلق الرؤوس واللحي وكل ما يستدعي ذلك من أماكن وجود الشعر، ثم تنزع ملابس الشخص ويرش بالكبريت ثم يغتسل ويتقدم لأخذ ملابسه، بعد أن يتم رشها بنفس المادة أو يتم استبدال الرثة منها بملابس أخرى.

ويوضح الجدول الآتي عدد التفليات والتطهيرات خلال تيفوس 1937-1938

السنوات	عدد التفليات	عدد التطهيرات
1937	477 582	223 223
1938	984 114	610 565 [100]

وكانت عملية التفلية والتطهير وما يرتبط بها من تجميع تعسفي للناس وهو تجميع كانت تأمر به السلطات المحلية دون أي اعتبار مما لم يكن يشجع على إقبال الناس عليه. وقد سجل أطباء الحماية في محاضرهم نفور المغاربة من هذا النوع من التجميع[101] وكثيرا ماكان الناس ينتبذون عن مناطق التجميع تلك وينفرون منها، بل ان بعضهم كان يعطل يوم السوق حتى لاينتشب في حبالة القائمين بأمور التفلية، الذين كانوا أحيانا يأخذون الناس بما لم يكن يجري لهم على ظن، فتراهم يختارون المواسم أو الأسواق أو غيرها من المناسبات التي يجتمع فيها الناس ليستاقوهم بالقوة زمرا نحو مراكز التفلية والتطهير.

---

[99] كانت هذه المحطات تسمى عند عامة الناس بالفوريان.

[100] Rapports des services de santé des années 1937 et 1938 paru respectivement dans B.I.H.M. janvier-juin 1938, p 100 et janvier-juin 1939, p. 125.

[101] عياش ألبير، المغرب والاستعمار، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، مراجعة وتقديم ادريس بنسعيد وعبد الأحد السبتي، دار الخطابي، ط. 1 أبريل 1985، ص. 347.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ج- التلقيح:

لم يكن يوجد ضد التيفوس في سنتي 1937-1938 سوى لقاحين حديثي الاكتشاف أولها اهتدى إليه الدكتور بلان BLANC مدير معهد باستور يومئذ، ويتكون أساسا من فيروس حي مخفف بمادة الصفراء، تم تحضيره بالمعهد نفسه، وكان يحضر بأسبوع قبل الوقت المزمع استعماله فيه، ولا يقدم في شكله النهائي إلا ساعة التلقيح، ومن هنا كان من المتعذر تخزينه ولم تكن مدة المناعة التي يمنحها تتعدى السنة الواحدة، أما اللقاح الثاني فهو لقاح ويگل WEIGL مدير المعهد البيولوجي في بولونيا، وهو مصل مقتول محضر مسبقا وقابل للتخزين، على أن طريقة تحضيره تتطلب عناية خاصة ولاتمكن من استعماله بكميات كبيرة ناهيك عن ثمنه المرتفع جدا وهو 50 ف للجرعة[102].

وكانت عمليات التلقيح تتم في الوحدات الصحية بالمدن بالاستعانة بالشيوخ والمقدمين والمخازنية، لضبط الناس وحملهم على المجيء، وذلك وفق برنامج يسطره القائمون بشؤون الصحة، ويضربون في ذلك مواعيد لتلقيح أحياء المدينة ودروبها الواحد تلو الآخر في أماكن معلومة. ويوضح الجدول الآتي عدد التلقيحات التي أجريت في سنتي 1937 1938.

السنة	عدد التلقيحات
1937	299 000[103]
1938	41 000[104]

أما في البوادي فقد كان يتم حشر الناس في ضحى يوم معلوم- كما كان الشأن بالنسبة للتفلية- على بسيط من الأرض، إذ يصطف الناس في ممرات تحف بها الحبال تفضي إلى خيمة الطبيب ومساعديه.

ولم تكن عملية التلقيح تتم دائما كما يتصورها المرء، فكثيرا ماكانت تستعمل القوة لجر الناس نحو مراكز التلقيح وتصفيفهم أمام طاولة الطبيب ومن يساعده من الممرضين، وأحيانا استعملت العصا لتسوية

102 -GAUD ET BONJEAN, la prophylaxie du typhus au Maroc, in Maroc médical, dec. 1938, p. 501

103 - AISSA ABDELMOUMEN, la santé publique au Maroc, p. 283.

104 - rapport des services de la D.S.H.P., pendant l'année 1938, in B.I.H.M., janvier-juin 1939, p. 125.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصفوف[105]. كما أن عمليات التلقيح كثيرا ما انحصرت عند المدن البلديات وشابها الكثير من الغرائب، إذ تحدثت "الأطلس" عن الحرس الذين يطلقون الناس دون تلقيح مقابل مبالغ باهضة من الأموال[106]، وعن الممرضين الذين يباشرون الشخص بعد الآخر دون أن يطهروا الشوكة بالنار[107]، وتحدثت جريدة أخرى عن نقص في الأطباء جعل قدرة القائمين بشؤون الصحة تتقاصر عن رد الداء في وقت اتسعت فيه رقعة المناطق المنكوبة[108].

2. مكافحة التيفوس خلال الحرب العالمية الثانية :

بلغ عدد حالات التيفوس التي سجلتها إدارة الصحة في تقاريرها لسنوات الحرب ما يقرب من 60 000، وهو رقم يمكن أن نسلم به على الرغم من أننا نعلم أنه لايغطي البتة كل عدد الحالات في الواقع.

فكيف تعاملت إدارة الصحة مع التيفوس في هذه المرحلة ؟

تشير التقارير المتعلقة بسنين الحرب إلى أن الإجراءات الوقائية التي كانت تتخذها إدارة الصحة لمكافحة التيفوس كانت تتم بالقدر الذي كانت تسمح به قلة الأدوية والعقاقير، وبأدوات أنهكها الاستعمال[109]، مما حد من مفعول تلك الإجراءات وجعل النتائج المتوصل إليها في هذا الباب متذبذبة لا تستقر على حال.

ففيما يخص عملية التفلية استمرت إدارة الصحة في عزل الدواوير عن بعضها البعض، وإقامة دوار جديد بعد حرق الدوار القديم ورش أطلاله بالجير والكريزيل[110]، وتم الاعتماد في تنقية الملابس من القمل والصئبان على تغطيسها في مراجل من الماء الساخن في المناطق التي تعوزها الوسائل المتطورة، وعلى التجفيف بالبخار أو استعمال غازات مثل برومير البنزيل bromure de benzyle وحامض السانيدر

---

105 أشار الى هذا بعض من استجوبنا هم من المسنين في هذا الباب.

106 الدار البيضاء، مصائب قوم عند قوم فوائد، "الأطلس" ليوم 1937/6/24.

107 الدار البيضاء، وباء التيفوس ووباء العسة، "الأطلس" ليوم 1937/3/26.

108 NOSSEK (M), la crise sanitaire, in feuilled d'anis du 8/6/1937.

109 Rapport sur l'activite des services de la D.S.P.F, pendant l'annee 1944 in BIHM, IV 1944, p. 166

110 RIVET (D), De Lyaute à Mohammed V, p. 299.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

acide cyan hydrique[111]، ويشير تقرير سنة 1942 إلى أن إجراءات التطهير كانت غير كافية أمام الهجوم الكاسح للتيفوس[112].

ويوضح الجدول التالي عدد التفليات خلال سنوات الحرب :

السنة	عدد التفليات
1939	648 620
1942	1420 276
1943	1098 110
1944	704 204[113]

أما فيما يخص عملية التلقيح، فقد التجأت إدارة الصحة إلى التلقيح الجماعي، واستعملت في ذلك لقاح معهد باستور بالدار البيضاء، وهو مصل لم يكن تحضيره ولا نقلـــــه يتطلبان كبير عناء، وحاولت في سنة 1942، وهي السنة التي شع فيها التيفوس بشكل كاسح، أن تكثف من حملات التلقيح في المدن، ويوضح الجدول التالي عدد التلقيحات التي أجريت خلال سنوات الحرب :

السنة	عدد التلقيحات
1939	212 004
1940	75 220
1941	427 100
1942	997 500
1943	276 000 40 % منها في منطقة فاس[114]
1944	

ويبدو عدد التلقيحات قليلا إذا قيس بعدد السكان المغاربة في هذه الفترة التي كانوا يربون فيها على السبعة ملايين، ولربما كان مرد ذلك إلى صعوبات التموين بالأدوية أو إلى أن القائمين بشؤون الصحة كانوا يقدمون التلقيح بمقدار وحسب رؤية تهدف إلى حماية الأوربيين ومن يجاورهم أو يتصل بهم من المغاربة. وأخيرا فإن ماكان يقدم للمغاربة هو لقاح بلان وهو لقاح يمكن الحصول على كميات كبيرة منه بتكاليف أقل

---

[111] B.I.H.M. IV, 1944, P 166. B.I.H.M. IV, 1944, p. 166.

[112] Rapport sur l'activite des services de la D.S.P.J, pendant l'annee 1942 in BIHM. II, 1942, p. 132.

[113] ركبنا هذا الجدول من تقارير إدارة الصحة التي كانت تصدر في نشرة المعهد الصحي المغربي B.I.H.M.

[114] جدول مركب من تقارير إدارة الصحة التي كانت تصدر في .B.I.H.M.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا يعطي مناعة تامة[115]، أما الأوربيون فكانت تفرد لهم لقاحات أخرى كلقاح ديوراند ويوجه للأكثر عرضة للعدوى وخاصة الموظفين منهم.

خاتمة :

يلاحظ مما سبق ذكره حول التيفوس بالمغرب، أن فشو هذا الداء يرتبط ارتباطا وثيقا بما كان يتعاقب على البلاد من سنوات المحل والشدة، أو بما كان يلم بها من عوامل الضيق والخصاصة، وأن كراته الخمس التي طرقت البلاد ما بين 1912-1945، كانت تتسبب في هلاك كثير من المغاربة مما لم يأخذهم إحصاء ولا عد.

وكان هذا الداء من جهة أخرى، فزاعة أمام الأوربيين، الذين كانوا يخشونه بشكل كبير، وهو الداء الوحيد الذي ذهب بالعديد من أطبائهم وممرضيهم. وحصد الكثير من عمال الأوراش وهدد بالموت من كان يتولى أمرها من الأوربيين، فتميزت مكافحته بكثير من التشدد في الإجراءات.

واختلفت أساليب مكافحة التيفوس كما رأينا، من عزل الناس في المخيمات خارج المدن، إلى استعمال الحملات البوليسية لانتشال المتسكعين وأبناء السبيل، واعتماد القوة في ذلك، إلى إحراق المساكن والأمتعة بالاضافة إلى منع الرثاثة ومن ثم حرمان قسم كبير من المغاربة من اقتناء ماكانوا يلبسونه، وتحولت هذه العمليات التي لا عهد للناس بمثلها إلى نوع من الديكتاتورية الصحية أصبح على إثرها التيفوس كما قال ريفي هو الخيط الموصل للاستبداد الصحي الذي هيمن على المدن الأطلنطيكية الى نهاية الحرب العالمية الثانية[116]، وما كان لمثل هذا إلا ليحكم النفرة بين المغاربة والفرنسيين ويند بالعملية عن معناها الوقائي والإنساني : "إذ ليس من المعقول أن تبسط سلطات الحماية يد أعوانها بالضرب والتنكيل على أقوام تدعى هي المحافظة عليهم من الأمراض السماوية" [117]، ولربما كان لهذا أثر كبير في ما كان يطبع علاقة المغاربة

---

[115] Rapport sur l'activité des services de la DSH pendant l'année 1943, in B.I.H.M, nouvelle série T. III 1943, pp. 173-174.

[116] RIVET (D), Le Maroc de Lyautey à Mohammed V, p. 296.

[117] الوقاية من "التيفوس" بالتعذيب وانتهاك الحرمات الأطلس ليوم الجمعة 1937/3/19.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحذرة بالطب الفرنسي الذي ظل مرتبطا في أذهانهم بالسلطة وأعوانها وممارساتها أثناء حملات التفلية والتطهير والتلقيح.

واستفادت سلطات الحماية مما كانت تقوم به خلال حملاتها لمكافحة التيفوس إذ مكنها تفتيش الناس أمام أبواب المدن، وفي الأسواق ووسائل النقل، والأضرحة والمنازل، من كسب مزيد من الخبرة بشؤون البلاد وأهلها، وجعل أعوانها يطلعون على ما يوجد وراء الأبواب الموصدة، كما أتاح لها "مزيدا من فرص التغلغل في نسيج المجتمع المغربي وتغيير الحدود بين الخاص والعام"[118].

الرموز المستعلمة

BEM :	Bulletin Economique du Maroc.
BESM :	Bulletin Economique et Social du Maroc.
BI.HM. :	Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc
B.O :	Bulletin Officiel.
C.A.A. :	Cahiers de l'Asie et de l'Afrique.
DGSP :	Direction Générale de la Santé Publique.
S.H.P. :	Santé et Hygiène Publiques.
D.S.H.F. :	Direction de la Santé, de l'Hygiène et de la Famille.
D.S.H.J. :	Direction de la Santé, de L'hygiène et de la Jeunesse.
D.S.H.P. :	Direction de la Santé et de l'Hygiène Publiques

[118] RIVET (D), la recrudescence des épidémies au Maroc durant la Deuxième Guerre mondiale : essai de mesure et d'interpretation, in Hesperis-Tamuda, vol XXX, fasc 1 (1992), p. 109.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في